التعلم الذاتي بديل للتعلم النظامي أم حتمية لابد منها

د.قنيفة نورة أ. عقود هاجر
جامعة أم البواقي

الملخص:
إن التحدي الذي تواجهه المدرسة الجزائرية في المرحلة الراهنة هو مدى مراعاة الفروق الفردية و الاعتناء بها و إبرازها و استثمارها، و إتاحة الفرصة للمتعلم حتى يحقّق ذاته و يبتكر و يبدع في إطار المعرفة العلمية بحاجاته و إمكاناته ، و لعل تحقيق ذلك يتطلب بشكل خاص تغييرا في طرق التدريس الممارسة في شكلها الحالي و محاولة تبني طرق حديثة تواكب الإفرازات العولمية في بعدها التربوي و منها طريقة التعلم الذاتي .
سنحاول من خلال مقاربة نظرية تربوية تقديم مجموع معطيات معرفية نبرز من خلالها المعنى العلمي للتعلم الذاتي من حيث أهميته و أهدافه في العملية التعليمية التعلّمية و مختلف استراتيجياته .
الكلمات المفتاحية: التعلم ، التعلم الذاتي ، طرق التدريس ،

Abstract :
The actual challenge that the Algerian school encounters nowadays ,is at which extent the individual differences are taken into consideration ,taking care of ,highlighted and well invested ,and the learner is given the opportunity to fulfill himself , invent and create according to the scientific knowledge of his needs and potentialities , may be the achievement of all of that require especially a change in the ways of teaching in the form its actual implementation, and try to adopt new ways that goes with the global outcomes in its educational dimension among which self -learning .
Through an educational theory approach we try to present a set of cognitive data to shed light on the crucial prominence of self learning in a matter of its importance and objectives for the learning process and its different strategies .
Key words: learning ,self learning, ways of teaching .

مقدمة :
نتج عن التطور و النمو التكنولوجي و المعرفي الكبير و المستمر خلال الفترة الماضية تغييرات واضحة في طرق الحياة الإنسانية ، و أصبح يطلق على هذا العصر الذي تهيمن عليه تكنولوجيا الحاسوب و البيانات و الاتصالات عصر التكنولوجيا الرقمية أو عصر تكنولوجيا المعلومات، فقد تضمنت التغيرات التي أوجدتها التكنولوجيا المعاصرة تغيرات في مجال التعليم و التكوين، حيث تغيرت غاياته و ميادينه و استراتيجياته و أساليبه و برزت مصطلحات و مفاهيم جديدة لطرق التعليم الحديث منها:التعليم المنزلي، التعليم خارج أسوار المدرسة، التعليم عن بعد، التعليم الحر، التعليم المستمر ، و التعلم الذاتي. هذا الأخير الذي أصبح ضرورة لابد منها لأن المنهاج الدراسي القديم عاجز عن الإلتحاق بالإنفجار المعرفي المتواصل، بحيث يمكن الفرد من التزود بمصادر المعرفة المختلفة و الحصول عليها بنفسه و تطويره سلوكيا و معرفيا و عاطفيا .
يعتبر التعلم الذاتي مهارة يجب على المتعلم اكتسابها وذلك بإتاحة الفرصة أمامه و تدريبه على أن يحل المشاكل التي تواجهه بنفسه ، و يحدث هذا من خلال الثقة بقدراته و إمكاناته و الكشف عن طاقاته الكامنة بتوجيهها إلى الطريق التي تجعله متمكّنا من حل المشكلات و التأقلم مع البيئة التي يعيش فيها ،كما أنها كفاية ينبغي على المعلمين امتلاكها ، و هو أحد الاستراتيجيات التعليمية التي دعت إليها حاجات العصر فقد أكدت الدراسات المختلفة علي فائدتها و أهميتها و دعت المناهج الدراسية إلي تأصيلها لدى الأفراد بداية من دخولهم إلى المدرسة باعتباره وسيلة أساسية للتعلم المستمر الذي يلازم الإنسان طيلة حياته .

نسخة غير قابلة للطباعة

لقد برهنت التجارب الميدانية أن الأساس الذي يقاس به ازدهار المجتمعات هو مدى النجاح الذي تحققه في ميادين التربية و التعليم ، فالعملية التعليمية شكل من أشكال تنظيم الحياة المدرسية، و جزء من التغيير الثقافي و الحضاري للمجتمع تستدعي رؤية تربوية حديثة و نظام تعليمي لا يقتصر على التحصيل المعرفي و اكتساب المعلومات و تخزينها، و إنما استثمار المعارف النظرية على أرض الواقع، و تنمية قدرات التعلّم و الإبتكار لدى المتعلم .كما أن التفوق و السبق الدولي في التربية يبدأ من المدرسة و مفتاح هذا التقدم هو المعلم و المنهج المدرسي الذي يسعى إلى تغيير الذهنية ، و تكوين مهارات التفكير الناقد ، و ثقافة الإبداع لا ثقافة الإيداع .

و مع الإعتراف بأن المدرسة وحدة أساسية للتغيير التربوي في المستقبل أصبح تغيير المدرسة ضرورة و شاغلا يوميا و همّا مجتمعيا ، و لعل الإدارة مسؤولة اتجاه هذا التغيير ،فعن طريقها يمكن إدارة التغيير و إحداث تطوير حقيقي و جذري في التربية ،لا يقتصر على الحاضر ، بل يتجاوزه إلى المستقبل .

إن حركة المدرسة اتجاه المستقبل مستمرة ، و هي حركة هادئة و روتينية إلى أن تستثيرها قوة من داخلها أو خارجها عند شعورها أن الجماعة صارت غاضبة من تدني مستويات أداء المدرسة أو تخلفها عن متطلبات العصر و رؤى الغد . و لهذا حرصت المدارس التربوية الحديثة على تقديم أساليب جديدة في التعليم و التعلم تنقل اهتمام الباحثين في مجال التربية من المحتوى الدراسي أو المعلم إلى المتعلم ، و من الأساليب التي كان لها نصيب من الدراسات التربوية أسلوب التعلم الذاتي،و بما أن المعلم هو الركيزة الأساسية للعملية التعليمية فعليه يقع العبء الأكبر في تشكيل اتجاهات الأفراد على نحو يمكنهم من التأقلم مع التغيّرات الراهنة و التغيرات المستقبلية ،و كذلك يمكنّهم من توظيف إمكاناتهم العقلية و الإنفعالية و المهارية ممّا يعود بالنفع على أنفسهم و على مجتمعهم و يكون ذلك بواسطة تنمية مهارة التعلم الذاتي[1]

في هذا الإطار جاءت حاجتنا الملحة لدراسة و تحليل مفهوم التعلم الذاتي من خلال المحركات البحثية التالية :

- ✓ ما ذا يعني التعلم الذاتي ؟
- ✓ ماهي الأهداف المرجوة أثناء تبني عملية التعلم الذاتي؟
- ✓ ماهي أهمية وفائدة التعلم الذاتي لأطراف العملية التعليمية ؟
- ✓ ماهي الأساليب الكبرى التي يعتمد عليها التعلم الذاتي؟

1. أهمية الدراسة: تبرز أهمية طرح التعلم الذاتي من خلال

-أنها تتناول موضوع التعلم الذاتي و دوره في رفع المستوى التحصيلي لدى المتعلم.

-توضح مميّزات استخدام التعلم الذاتي في المجالات التربوية المختلفة.

-الحاجة الملحة إلى تطوير طرائق التدريس و أساليبه في المؤسسات التعليمية المختلفة لمواكبة التطورات العلمية و التربوية و التكنولوجية.

-تأكيد ضرورة العناية بالتعليم الذاتي الذي يفسح المجال للمتعلم لاكتساب المعلومات وتحصيل المعارف والمهارات بنفسه بتوجيه و إدارة من المعلم بدل الاعتماد على الطرائق التي تؤكد دور المعلم وفاعليته وسلبية الطالب .

2. الدراسات السابقة:

تعددت الدراسات التي تعنى بالتعلم الذاتي و أثره على العملية التعليمية عموما من معلم و متعلم و بيئة تعليمية.و استطاعت الباحثة الحصول عليها من خلال الرجوع إلى مصادر المعلومات المتاحة المتواجدة في الكتب أو شبكة الإنترنيت و قد ساهمت هذه الدراسات في إثراء هذا الدراسة و بيان ذلك على النحو التالي:

نسخة غير قابلة للطباعة

تناولت دراسة جمال كامل الفليت سنة 2014 موضوع مهارات التعلم الذاتي اللازم لطلبة الدراسات العليا في الجامعات الفلسطينية بحيث هدفت إلى تحديد مهارات التعلم الذاتي اللازمة لطلبة الدراسات العليا في ضوء متطلبات مجتمع المعرفة و إظهار مدى تطبيق طلبة الدراسات العليا لمهارات التعلم الذاتي،و أظهرت نتائج هذه الدراسة ضرورة تطوير أساليب التدريس في التعليم ، و الانتقال من أسلوب التعليم إلى أسلوب التعلم و إثراء المساقات الدراسية بخبرات و أنشطة تعليمية تسهم في تنمية مهارات التعلم الذاتي.

أما الدراسة الثانية فتخص سهى حسامو و فواز عبد الله حول أثر التعلّم الذاتي في توظيف مهارات التحاور الالكتروني المتزامن و غير المتزامن لدى طلبة معلم الصف بجامعة تشرين و هدفت إلى قياس أثر التعلّم الذاتي في توظيف مهارات التحاور الإلكتروني الصوتي المتزامن و غير المتزامن ، و استعملت الدراسة كأداة للدراسة اختبار تحصيلي و آدائي ، و قد توصلا إلى وجود فروق دالة احصائيا بين متوسطي درجات الطلبة في التطبيقين القبلي و البعدي للاختبار التحصيلي للجانب المعرفي لمهارات التحاور الإلكتروني الصوتي المتزامن و غير المتزامن مجتمعة و كلا على حدة.

الدراسة الثالثة لعبد الرؤوف إسماعيل محفوظ و عصام عبد اللطيف العقاد حول فاعلية برنامج قائم على التعلم الذاتي وأثره على تنمية دافعية الإنجاز و تقدير الذات لدى عينة من الطلاب المكفوفين بجامعة الملك عبد العزيز، استخدما فيها مقياس تقدير الذات و مقياس دافعية الإنجاز ، و قد توصلا إلى وجود فاعلية للبرنامج المقترح للتعلم الذاتي في تنمية دافعية الإنجاز و تقدير الذات لدى عينة الدراسة من الطلاب المكفوفين.

أما آخر دراسة فهي لبدر بن عايد بن فالح حول مهارات التعلم الذاتي المضمنة في كتاب الرياضيات للصف الثالث متوسط من وجهة نظر المعلمين ، هدفت إلى التعرف على مهارات التعلم الذاتي المضمنة في كتاب الرياضيات ، و تم الإعتماد على الاستمارة و استبانة تحليل المحتوى ، و قد توصلت الدراسة إلى أن درجة تضمين مهارات المشاركة بالرأي و مهارات الإفادة من الإمكانات المتاحة في البيئة في كتاب الرياضيات للصف الثالث من وجهة نظر المعلمين متوسطة بينما درجة تضمين مهارات الاستعداد للتعلم و مهارات التقويم الذاتي عالية و في ضوء نتائج الدراسة تم تقديم مجموعة توصيات كعقد ندوات علمية و دورات تدريبية تجمع المعلمين ذوو المؤهلات الدراسية المختلفة وسنوات الخبرة المختلفة لتطوير خبراتهم في كيفية واستخدام الاستراتيجيات والأنشطة والأمثلة المعطاة في الكتاب في توظيف مهارات التعلم الذاتي.

لقد أكدت الدراسات السابقة على أن التعليم التقليدي المعتمد على المعلم كمحور للعملية التعليمية أصبح غير فعال في ظل التطور التكنولوجي المتواصل ، و عصر العولمة و انفجار المعلومات ،كما أجمعت على فاعلية التعلم الذاتي و أساليبه المختلفة في عملية التعليم و التعلّم و في التحسين من نوعية مخرجات التعلم ،كما أن أغلبها ركّز على دور الوسائل التكنولوجية الحديثة كأحد أساليب التعلم الذاتي .

3. التعلم الذاتي..بحث في المعنى :

يمثل التعلّم حقيقة تُعبّر عن استيعاب الكائن البشري لسلوكات و مواقف و معارف لم تكُن لديه في الأصل ، حيث تعملُ هذه السلوكات المكتسبة على زيادة تكيُّفه مع الظروف و المشكلات الحياتية المختلفة .فالتعلم، إذن، هو عمليّة تثقيفيّة و ليست طبيعية ، بمعنى أنها نتيجة لمجهود يقوم به البشر للحصول على هذه السلوكات و المعارف بُغية توظيفها لتحقيق المنفعة ، فهي نتاج ثقافي . و قد يَتِم التعلّم بصفة عفوية أو بصفة مُنظمة. تكون الصفة العفوية عن طريق التجربة غير المخَطّطة ؛ بينما تكون الصفة المنظّمة عن طريق المناهج المخططة.

نسخة غير قابلة للطباعة

و التعلّم ظاهرة تعمل على تغيير سلوك الفرد و آدائه بواسطة التدريب المستمر و اكتساب سلوكات جديدة تجعل الفرد قادرا على مجابهة مواقف جديدة ، أو مواقف تشترط تَوفّر هذه السلوكات. و من هذا المنطلق ، نتوقع أن يحدِث هذا التعلّم تغييرات من الناحية الجسمية و النفسية و المعرفية و العقلية .فلا يمكنُ الكلام عن التعلّم دون ملاحظة هذه التغييرات.[2]

أما التعلم الذاتي فهو الأسلوب الذي يقوم فيه الفرد نفسه بالمواقف التعليمية المختلفة لاكتساب المعلومات

و المهارات، بحيث ينتقل محور الاهتمام من المعلم إلى المتعلم ، فالمتعلم هو الذي يقرر متى و أين ينتهي، و أي الوسائل و البدائل يختار، و من ثم يصبح هو المسؤول عن تعلّمه و عن صناعة تقدمه الثقافي والمعرفي، وعن والقرارات التي يتخذها".[3]

و عرّف كمال زيتون التعلّم الذاتي بأنه ذلك النمط من التعليم المخطّط و المنظّم و الموجّه فرديا أو ذاتياً ، و الذي يمارس فيه المتعلم الفرد النشاطات التعليمية فردياً ، و ينتقل من نشاط إلى أخر متجهاً نحو الأهداف التعليمية المقررة بحرية و بالمقدار و بالسرعة التي تناسبه مستعيناً في ذلك بالتقويم الذاتي و توجيهات المعلم و إرشاداته حينما يلزم الأمر ، و قد تشغل نشاطات هذا النمط الذي يطلق عليه البعض التعلّم المستقل جزءا من حصته أو حصته كاملة أو مجموعة محدّدة من الحصص ، كما أنها قد تسبق نشاطات جماعية مشتركة أو تعقبها ،و يخضع هذا كله لبصيرة المعلم و مهاراته و قدرته على التخطيط المرن و التنسيق الدقيق .

و يمكن تعريف التعلّم الذاتي بأنه النشاط التعليمي الذي يقوم به التلميذ برغبته الذاتية بهدف تنمية استعداداته و إمكاناته و قدراته مستجيباً لميوله و اهتماماته بما يحقّق تنمية شخصيته و تكاملها ،و التفاعل الناجح مع مجتمعه عن طريق الاعتماد علي نفسه و الثقة بقدراته في عملية التعليم و التعلم و فيه نعلّم التلميذ كيف يتعلم ، ومن أين يحصل على مصادر التعلّم [4]

مما سبق يمكن تعريف التعلم الذاتي إجرائيا بأنه طريقة ممارسة تجذب تركيز المتعلم عن طريق اعتباره شريكا في العملية التعليمية على خلاف دوره الراهن الذي ينحصر في المشاهدة و التلقي ، و بواسطته يصبح المتعلم أكثر دافعية لتعلّم واكتساب تعليمات جديدة ، و يمكن القول أيضا بأن المتعلم هو أساس العملية التعليمية في التعلم الذاتي لأن المتعلم بتعليم ذاته بذاته عن طريق البرامج التكوينية التدريبية المعدّة لهذا الأمر ، و هو المسؤول عن تحديد الوقت الذي يبدأ فيه في دراسة الوحدة التعليمية ، و المكان الذي سيتعلم فيه ،و الأهداف التي يسعى لتحقيقها من دراسة هذه الوحدة، و ينتقل إلى وحدة تعليمية أخرى .فالتعلم الذاتي إذا هو قدرة المتعلم على اكتساب استراتيجيات و طرق جديدة و تطويرها مما يساعده في عملية التعلم و اكتساب المعرفة بما يعود عليه بالكثير من الفوائد الأكاديمية و الإجتماعية.

4. أهداف التعلم الذاتي:

تتنوع و تتعدد الأهداف التي يمكن تحقيقها من خلال التعلم الذاتي بتنوع و تعدد المجالات التي تخدمها ، و من أهم هذه الأهدف :

1. مراعاة الفروق الفردية بين الأفراد و ذلك لأن الأفراد يختلفون عن بعضهم البعض في بعض القدرات و الميول و الاهتمامات و الاتجاهات و هذا ما يسمى بالفروق الفردية.
2. تحقيق ديمقراطية التعليم ، أي توفير حق التعليم لكل فرد من أفراد المجتمع بغض النظر عن جنسه و عرقه و لونه ودينه بما يتناسب وحاجات ذلك الفرد وقدراته .
3. تنمية استقلالية الفرد في تفكيره و عمله و بالتالي تحقيق ذاته مما يولّد لديه الدافعية الداخلية للتعلم .

نسخة غير قابلة للطباعة

4. مسايرة الإنفجار المعرفي ، و الإستفادة من التقدم التكنولوجي في إيصال المعرفة الجديدة لكل فرد ،لأن هذه التطورات بدأت تغزو حياة الفرد و المجتمع ،كما أنّها دخلت المجال التربوي الأمر الذي يحتم توظيف التكنولوجيا من خلال برامج التعلم الذاتي.
5. تنمية التوجه الذاتي مما يشجع المتعلم على الإبداع.
6. حل مشكلة تزايد أعداد الطلبة على مقاعد الدراسة، و تدني مستوى التحصيل الأكاديمي لدى الطلبة ،و معالجة نقص المعلمين.
7. تطوير عملية التعليم و التعلم ،و إيصال المعرفة الجديدة إلى كل فرد ،و بالطريقة التي تتناسب و قدراته و احتياجاته.(5)

كما تتنوع الأهداف التي يمكن تحقيقها من خلال التعلم الذاتي و تتعدد بتنوع و تعدد المجالات التي تخدمها، و من أهم هذه الأهداف :

1.أهداف مرتبطة بالتخطيط للتعلم الذاتي ، و في هذا الإطار يلزم المتعلمين أن يتعلّموا كيف يصوغون أهدافهم بشكل علمي و يتبنون استراتيجياته، و يتخذون قراراتهم حول ما يتعلمونه و كيفية تعلّمه، و يتعاملون في الوقت نفسه مع نتائج قراراتهم.

2. أهداف مرتبطة باستخدام مصادر المعلومات وتوظيفها، مما يفسح المجال أمام المتعلمين لتطبيق ما تعلّموه من المؤسسة التعليمية في حياتهم خارجها ، الأمر الذي يسهم في إزالة الحواجز بين المؤسسة التعليمية والحياة خارجها.

3. أهداف مرتبطة بالتقويم الذاتي، حيث يحتاج المتعلم إلى زيادة قدرته على تقويم نفسه بنفسه إدراك مواطن الضعف فيعمل على علاجها ذاتياً أو بتوجيه معلمه.

4 أهداف متعلقة باتجاهات المتعلمين، حيث من الضروري إكساب المتعلم اتجاهات إيجابية نحو التعلم، إضافة إلى تنمية الإحساس بالكفاءة الشخصية و الإنجاز و الثقة بالنفس، و تحقيق مستوى عال من الحماس و استغراق الذات في الأنشطة التي يقوم بها.

و لعل أهم أهداف التعلّم الذاتي من خلال دوره كعملية يسعى لتغذية القدرة الذاتية للفرد على التجدّد ليصبح قادراً بنفسه على تنمية طاقاته في عملية مستمرة من اكتشافه لذاته، و من هنا كان التعلم الذاتي الوسيلة الاساسية لبناء مجتمع دائم التعلم و تحقيق أمل التربية المستمرة و التعلّم مدى الحياة Life-Long Learning التي يراها كثيرون الحل الوحيد لأن يواكب الفرد في كفاية تفجّر المعرفة الإنسانية و التسارع المذهل في تطبيقاتها التكنولوجية و يؤكد ذلك أيضاً مولر و آخرون بأنه إذا كان هدف التعليم هو مساعدة المتعلمين على الفهم و استيعاب الدروس و المواضيع فإن هدف التعلم هو مساعدة المتعلمين على تطوير قدراتهم وكفاءتهم ليس فقط من أجل الفهم والاستيعاب و إنما بهدف بناء شخصياتهم للاعتماد على ذاتهم وتحمل مسؤوليات تعلمهم خلال مختلف فترات حياتهم.(6)

5. أسس التعلم الذاتي :

يعتمد التعلّم الذاتي على نشاط المتعلم و إمكانياته، و سرعته الذاتية في عملية التعلّم و حرية المتعلم في اختيار الأسلوب والوسيلة التعليمية التي تساعده في الوصول إلى تحقيق أهدافه التعليمية، ويتضح ذلك من خلال مجموعة من الأسس التي يقوم عليها التعلم الذاتي و هي :

*مراعاة الفروق الفردية حيث أثبتت نتائج العديد من البحوث و الدراسات التربوية وجود فروق فردية بين التلاميذ

نسخة غير قابلة للطباعة

و عجز الطرق المعتادة في التدريس عن مراعاة تلك الفروق نتيجة تقديم محتوى دراسي واحد و طرق تدريس واحدة لذلك كانت هناك حاجة لإعداد المواد التعليمية و طرق تدريس و أنشطة تراعى مبدأ الفروق الفردية بين الطلاب، و يعد أسلوب التعلم الذاتي من الأساليب التي تراعى هذا المبدأ بين الطلاب، وذلك من خلال التعرف على الخصائص المميزة لكل متعلم وطرح مجموعة من الوسائل والأساليب والأنشطة المتعددة بحيث تتيح للتلاميذ اختيار ما يناسبهم من أساليب وأنشطة .

*مراعاة السرعة الذاتية للمتعلم إذ يرى المتحمسون لبرامج التعلم الذاتي أن مراعاة السرعة الذاتية للمتعلم من أهم الخصائص المميزة لهذه البرامج، ويقصد بمراعاة السرعة الذاتية أن يترك عنصر الزمن خاضعًا لظروف كل متعلم، فالشخص بطئ التعلم لا يطالب بأن يساير غيره من الطلبة سريعي التعلم وإنما يعطى الوقت الذي يطلبه لكي يحقق الهدف بالسرعة التي تناسبه، وكذلك الشخص سريع التعلم لا يضطر إلى الانتظار حتى يلحق به غيره .

* إتقان المادة التعليمية إذ يهدف التعلم الذاتي إلى إتقان المتعلم للمادة التعليمية والوصول بالمتعلم إلى مستوى 90 % من الدرجة الكلية للاختبارات القبلية و البعدية و ذلك من خلال الإتقان، و قد يصل إلى تحديد المسارات التي يجب أن يسير فيها بدءًا من تحديد الأهداف تحديدًا واضحًا و إعطائه التعليمات اللازمة و التي تساعد على دراسة الموضوع بطريقة ذاتية مرورًا بالاختبارات القبلية و التي تحدد خلفيته من الموضوع و تحدد له نقطة الانطلاق في الدراسة و المادة العلمية المقسّمة إلى أطر و فقرات مدعمة بالوسائل التعليمية و الأنشطة التي تساعد المتعلم على إتقان الموضوع .

و من أكثر المتحمسين لهذا الاتجاه الجديد بلوم و بلوك و بيرنز، و يرى هؤلاء أن غالبية الطلاب على الأقل في الصفوف الدراسية يستطيعون أن يصلوا إلى درجة الإتقان إذا توافرت الشروط المناسبة لذلك، و قد أشار بلوم إلى هذه الشروط فيما يلي :

- ✓ تقديم تعليم يعتمد على خطة منهجية منظمة تتحدد فيها الخطوات و المسارات والتوقعات المطلوبة من المتعلم بعد انتهاء دراسة الوحدة التعليمية
- ✓ تشخيص خصائص المتعلم للتعرف على خلفيته السابقة و أساليب التعلم التي يفضلها .
- ✓ تقديم أنشطة وبدائل تراعى خصائص المتعلم .
- ✓ تقديم المساعدة اللازمة عندما يواجه المتعلم صعوبات تعوق تقدمه .
- ✓ إتاحة الوقت الكافي لتمكين المتعلم من الوصول إلى درجة الإجادة المطلوبة .

*إيجابية المتعلم وفاعليته على اعتبار أن المتعلم هو محور العملية التعليمية و مشاركته الفعالة في العملية التعليمية تساعد على تحقيق أهدافها ، والتعلم الذاتي يسمح للمتعلم بالمشاركة والفاعلية فهو الذي يتعلم ويقيِّم ذاته و يحدد خطواته وفق برنامج الدراسة الذي يتعرض له .و من أهم ما يميز التعلم الذاتي توفير أشكال متنوعة ومتعددة من إيجابية وتفاعل المتعلم في الموقف التعليمي، ومن أمثلة ذلك التفاعل بين المتعلم والبرنامج التعليمي بحيث يمكنه تلقى تغذية راجعة فورية عن مدى صحة استجاباته وعن مدى التقدم الذي يحرزه بما يؤدى إلى تنمية دافعيته الذاتية ورغبته الحقيقية في التعلم لتحقيق أهداف معينة.(7)

6. أهمية تطوير مهارات التعلم الذاتي المستقل:

يعتبر تطوير مهارات التعلّم الذاتي إسهاما متميزا في إثراء عملية التعليم و التعلم ،كما يعتبر أحد العوامل الأساسية في تطوير التعليم و مدخلا للتطوير المنشود ، أضف إلى ذلك أن تطوير تلك المهارات يمكن أن يسهم في تمهيد الطريق للمتخصصين في مجال التعليم و للمؤسسات التعليمية و غير التعليمية لرفع كفاءات و صقل مهارات العاملين بهذه المؤسسات مما يؤدي إلى

نسخة غير قابلة للطباعة

ابتكار أساليب و استراتيجيات جديدة تساير التوجهات الحديثة و الثروة المعلوماتية و التكنولوجية المستمرة ،كما يسهم هذا التطوير في مساعدة الأفراد و المؤسسات كما يلي:

- ✓ الدارسون: يتعاملون مع المواد الدراسية المتاحة استقلاليا و بالإعتماد على ذاتهم و قدراتهم و مهاراتهم معتبرين المدرس الملاذ الأخير فيمكنهم تعلم طرق إما إختيار أو إبتكار أساليب واستراتيجيات التعلم التي يحتاجونها أثناء عملية التعلم .و يمكن أن يعزز ذلك دافعيتهم حيث يتمتعون بالمسؤولية ويشعرون بالاستمتاع بالمزيد من الحرية.
- ✓ المدرسون: يتمتعون بالمزيد من المهارات التي تؤدي إلى اتساع مدى معارفهم وخبراتهم حيث يتحتم عليهم منح الدارس البدائل عن دورهم في عملية التعليم وذلك بتحديد المزيد من المراجع ومصادر التعلم المختلفة.
- ✓ مصممو المناهج : يتعرّفون على طرق تصميم منهج دراسي يتضمن حاجات و اهتمامات و اتجاهات و أهداف الدارسين ، و أيضا تضمين مساحة كبيرة من الحرية بالمنهج لتوفير فرص أصيلة للدارسين بهدف ابتكار أو إختيار مواقف و مواد دراسية تتواءم و مهارات و قدرات أولئك الدارسين
- ✓ المشرفون و الموجهون : يملكون القدرة على ابتكار أساليب و استراتيجيات القياس و التقييم الحديثة و نقل خبراتهم إلى كل من الدارسين و المدرسين.كما يتم تشجيعهم على تبني استراتيجية التعلم الذاتي و نقلها أيضا إلى كل من الدارسين و المدرسين كاستراتيجية حديثة و جوهرية تمنح الدارسين الحق في الإستمتاع بعملية التعلم كما توفر للمدرسين الحق في الاستمتاع بعملية تدريس حديثة ومتطورة من خلال منظور طبيعي وعلمي.
- ✓ أولياء الأمور : يدركون كيف يمدون يد المساعدة لأبنائهم ،وكيف يوفرون لهم جميع الفرص المتاحة حتى يتمكنوا من الإعتماد على ذاتهم وقدراتهم.وسوف يقدر أولياء الأمور أهمية إتاحة الحرية الكاملة لأبنائهم في اختيار ماينا سب قدراتهم وميولهم من بين عدة مواد دراسية ومن بين العديد من مصادر التعلم ،كما يقدرون دور التكنولوجيا الحديثة في عملية التعلم مما يتيح لأبنائهم فرصة تبني مفهوم التخصص الدقيق.
- ✓ المسؤولون بالمؤسسات التعليمية و المدارس : يهتمون اهتماما كبيرا باستخدام الوسائط المتعددة و مصادر الأنترنت المتاحة بتلك المؤسسات ،و سوف يثري ذلك العملية التعليمية و يسهم في تسيير إجراءاتها داخل تلك المؤسسات مما يساعد على رفع مستوى و كفاءة أداء الطلاب
- ✓ المجتمع:سوف يفيد المجتمع كثيرا حيث يستقبل أفراد مستقلين قد اكتسبوا مهارات جديدة و بنّاءة قادرين على اتخاذ القرار مما يساهم في بناء مواطن مستقل ذاتيا يتولى مسؤولية المشاركة في بناء مجتمعه و تطويره و هو ما يساهم في خدمة الوطن على المدى البعيد .
- ✓ سوق العمل: سيستقبل أيدي عاملة مدربة ذات كفاءة عالية ،و ذات مهارات جديدة و قادرة على استخدام أحدث وسائل التكنولوجيا ، بل و قادرة على ابتكار أساليب جديدة في العمل .و سيتميّز العاملون الجدد بمهارات بحثية تسهم بلا أدنى شك في تطوير سوق العمل وإنعاش الإقتصاد القومي كنتيجة حتمية لذلك. (8)

7.أساليب التعلم الذاتي :

تتنوع أساليب التعليم الذاتي تبعاً لتغير النظرة إلي طبيعة عملية التعليم فبعد أن كانت تعتمد على الإلقاء والاستقبال اتسعت لتشمل المستويات الإدراكية المعرفية مما يتطلب إيجابية المتعلم في التعليم بهدف إظهار قدرات الطلبة الكامنة والارتقاء بها ولم تعد الأساليب التقليدية في التدريس تلائم الحياة المعاصرة ، ولذلك ظهرت نظريات ودراسات ومناهج تربوية عديدة تساعد على اكتساب العديد من المهارات العقلية والاجتماعية والحركية وتتمثل مهمة المعلم الحديث وفقاً للطرق الحالية في إتاحة

نسخة غير قابلة للطباعة

الفرصة للمتعلمين لتحصيل المعرفة بأنفسهم ، والمشاركة بفاعلية في كافة أنشطة التعليم، والإقبال على ذلك برغبة ونشاط حتى يعتادوا الاستقلال في الفكر والعمل والاعتماد على الذات .ومن هذه الأساليب:

7-1 التعليم المبرمج:

و هو أحد أشكال التعلم الذاتي ، ومن مميزات التعلم المبرمج أن الدور الأساسي في تنفيذ البرنامج يعتمد على التلميذ و يتحدد دور المعلم في توفير المواقف الضرورية لحدوث التعلم أو التحكم في الظروف الخارجية للتعلم ، و كذلك تحديد التعزيز و استخدام المناسب منها. ومن مميزاته أيضا تجزئة الوحدة التعليمية المراد تعلمها إلى أجزاء صغيرة بحيث يتعلمها التلاميذ على خطوات متعددة متسلسلة يتبع تعلم كل خطوة أو كل وحدة تقييم وتغذية راجعة لمستوى الأداء،و لا يتم انتقال التلميذ إلى تعلم الجزئية اللاحقة للوحدة إلاّ بعد نجاحه في تعلم الجزئية السابقة لها وهكذا.(9)

7-2المشروع البيداغوجي :

شهدت المنظومة التربوية التكوينية مع مطلع القرن الحالي تحولات جذرية مما أفضى إلى ظهور مستجدات تربوية و بيداغوجية رافقت تلك التحولات ، متصدرة بمقاربة تتأسس على توجيه المتعلم لبناء معارفه وفق منظور جديد ينبنى على مرجعية سلوكية معرفية تشكل قاعدة لبيداغوجيا الكفاءات باعتبارها استراتيجية ملائمة لجعل المتعلمين قادرين من جهة على التكيّف مع مختلف الوضعيات التي أصبح يزخر بها العالم المعاصر و مؤهلين من جهة أخرى للخلق و الابداع بغية تمكّنهم من مواجهة مختلف أشكال المنافسة التي يقتضيها منطق العولمة.

إن التدريس بالكفايات و الذي يتأسس على تمفصل مجموعة من العدد و الموارد و الأساليب يفترض نوعا من التآلف الذي يتكيف مع روحها وفق نوعية الوضعيات و المتعلمين ممّا يتطلب مزيدا من التعريف بأهم تلك الأساليب و الاستراتيجيات الملائمة لبناء الكفايات لدى المتعلمين ، و من ضمن هذه الاستراتيجيات هنالك استراتيجية بيداغوجيا المشروع التي تحظى بأهمية بالغة بالنظر لكونها تشكّل إحدى الاستراتيجيات البيداغوجية و الديداكتيكية الفعّالة لبناء الكفايات الضرورية لدى المتعلمين خاصة، و أن مفهوم المشروع يحيل في عمقه على مسألة تمفصل العديد من المهارات و القدرات ممّا يؤهله بحق ليشكل الاستراتيجيا الملائمة لروح بيداغوجيا الكفايات و إذا كانت هذه البيداوغجيا على هذه الشاكلة فهي في الوقت ذاته تعد المتعلم وتؤهله للحياة الواقعية الحالية والمستقبلية وذلك من خلال ارتكاز هذه الاستراتيجيا البيداغوجية على التمرس الفعلي للمتعلم والتطلع للمستقبل وفق جملة من المشاريع الواقعية والمحتملة التي يفرزها محيطه وترتبط بالمتطلبات الملحة لهذا الأخير (10)

7-3 طريقة ميتسوري:

و تنسب إلى الطبيبة الإيطالية ماريا ميتسوري التي ركزت على فئة من الأطفال الغير أسوياء ، و تهتم هذه الطريقة ب:

- ✓ استخدام الحواس استخداما فعالا .
- ✓ استخدام الأدوات و المواد التي أعدت للتدريب و التهذيب التربوي .
- ✓ القيام بالمهارات الحركية.
- ✓ القيام ببعض التمرينات التعليمية مثل القراءة والكتابة والحساب.
- ✓ إعداد البيئة التعليمية السليمة للطفل ،وتشجيع الأطفال على المبادرة في عمل الأشياء .
- ✓ تشجيع الطفل على التعبير عن نفسه بحرية.

نسخة غير قابلة للطباعة

و ترى ميتوسري أن التربية و التهذيب تبدأ من ميلاد الطفل باستغلال قدرات الطفل في سنواته الأولى ، و سيكون ذلك أساسا قيّما للتربية الصحيحة مستقبلا ، حيث يسهل تكييف الطفل بدنيا و عقليا، و ينحصر دور المربي في الإشراف و التوجيه ،و رقابة نشاط الطفل و معاملته بلطف ،و لا يستخدم العقاب ، و لا الحوافز ليحافظ على شخصية الطفل ، و يحتفظ المربي بسجل تراكمي لمدى تقدم الطفل.(11)

4-7 التعليم الإلكتروني:

هو الثورة الحديثة في أساليب وتقنيات التعليم التي تسخر أحدث ما تتوصل إليه التقنية من برامج و أجهزة في عمليات التعليم ،بدءا من استخدام وسائل العرض الإلكترونية لإلقاء الدروس في الفصول التقليدية و استخدام الوسائط المتعددة في عمليات التعليم الفصلي و التعليم الذاتي،و انتهاءا ببناء المدارس الذكية و الفصول الإفتراضية التي تتيح للطلاب الحضور و التفاعل مع محاضرات و ندوات تقام في دول أخرى من خلال تقنيات الإنترنت و التلفزيون التفاعلي .و التعليم الإلكتروني أو التفاعلي هو ذلك النوع من التعليم الذي يعتمد على استخدام الوسائط الإلكترونية في الإتصال بين المعلمين و المتعليمين وبين المتعلمين والمؤسسة التعليمية.وتعتمد طرق التعلم الإلكتروني على استخدام آليات الإتصال الحديثة من حاسب وشبكاته ووسائطه المتعددة من صوت وصورة ورسومات وآليات بحث ومكتبات إلكترونية ،وكذلك بوابات الإنترنيت سواء كان عن بعد أو في الفصل الدراسي المهم المقصود هو استخدام التقنية بجميع أنواعها في إيصال المعلومة للمتعلم بأقصر وقت وأقل جهد وأكبر فائدة.

أي أن التعليم الإلكتروني هو ذلك النوع من التعليم الذي يعتمد على استخدام الوسائط الإلكترونية في الاتصال، و استقبال المعلومات و اكتساب المهارات و التفاعل بين الطالب و المعلم و بين الطالب و المدرسة.و لا يستلزم هذا التعليم وجود مبان مدرسية أو صفوف دراسية،بل إنه يلغي جميع المكونات المادية للتعليم .ولذلك يمكن القول إنه ذلك النوع من التعليم الافتراضي بوسائله الواقعي بنتائجه.ويرتبط هذا النوع بالوسائل الإلكترونية وشبكات المعلومات والاتصالات.(12)

5-7 مفهوم الحقيبة التعليمية

محتوى تعليمي له القدرة على خلق أحداث تعليمية بالاشتراك مع المستخدم مما يجعل التعلّم بوساطتها يتم بصورة متسلسلة متدرجة في خطوات متتابعة ، و هي حشد لأكبر حجم من مكونات و شروط و تسهيلات ، و تتمتع بقوة تعلم هائلة نظرا لما تحويه من مواد و بدائل و معينات و خيارات مجزية لتحفيز فاعلية المتعلم للحصول على الخبرات التعليمية اللازمة ، و تساعد الحقيبة الطلاب على التعلم إلى أقصى ما تمكنهم به قدراتهم ، و بسرعتهم الخاصة ، وبما يرضي حاجاتهم .وتعد الحقيبة التعليمة من أهم الطرق التعليمية فائدة في إثراء الموقف التربوي ،وإغنائه بالمثيرات المتعددة ، التي تؤدي إلى تكوين خبرات متنوعة ، وتمثل نمطا من أنماط التعلم الفردي أو تفريد التعليم ، وقد زاد الاهتمام بها في الآونة الأخيرة ،لأنها تمكن المتعلم من الممارسة العملية للخبرات ، والمهارات ، والحصول على المعلومات واكتسابها ، وفسح المجال للملاحظة والتدقيق ، والتعامل مع المواد بشكل مباشر إلى الدرجة التي تمكن المتعلم من تحقيق الأهداف المطلوبة،فالحقيبة التعليمية أداة جيدة في التعلم والتعليم ، وهي مصممة لكي تستخدم بأسلوب يساعد في مراعاة الفروق الفردية،وتمكن المتعلم من السير بالبرنامج بحسب قدرته وسرعته في ضوء تعليمات وموجهات موضوعة.(13)

فالحقيبة التعليمية إذا منهج محكم التنظيم ؛ يتضمن مجموعة من العمليات والبدائل التربوية التي تساعد في تحقيق غايات معينة ، منطلقة من مبادئ التعلم الذاتي الذي يمكّن المتعلم من التفاعل مع المادة حسب إمكاناته باتباع طريق محدد في التعلم ،

نسخة غير قابلة للطباعة

ويحتوي هذا المنهج على مواد تعليمية منظمة ومترابطة مطبوعة أو مصورة.و تتكون الحقيبة التعليمية عادة من صفحة العنوان والفكرة العامة ومجموعة الأنشطة التعليمية وعدة وسائل ومعينات سمعية وبصرية وأخيرا وسائل التقويم.(14)

خاتمة:

من خلال ماسبق يمكن القول بأن التعلم الذاتي إستراتيجية من استراتيجيات التعلم المتطورة التي تمكن الفرد من أن يعلم ذاته بذاته بما يتناسب مع قدراته وسرعته في التعلم ، وبما يتوافق مع ميوله وما يرغب فيه ، أي أن محور التعلم الذاتي يركز على المتعلم ، فهو الذي يختار المحتوى الدراسي الذي يريد دراسته ، و هو الذي يقرّر محطة الانطلاق و محطة الوصول و هو الذي يحدّد مسار التعلّم في ضوء سرعته الخاصة في التعلم و على أساس إمكاناته و قدراته ، بالإضافة إلى أنه يحدد طريقة التقويم الذي يتم تقويمه بواسطته ، زد إلى ذلك فأسلوب التعلم الذاتي يتميز بوضوح الغايات التي يراد من المتعلم الوصول إليها ، مما يساعده على التفكير في مراحله المختلفة ، كما ينمي لديه مهارات عقلية أخرى مثل مهارة حل المشكلات و التكيف مع المواقف المختلفة و مهارة التوجيه الذاتي و اتخاذ القرار، و التي تنتج من إحساس المتعلم بمسئوليته عن عملية التعلم الخاصة به و عن مخرجات هذا التعلم ، كما أن أسلوب التعلم الذاتي يركز على احترام مبدأ الفروق الفردية بين المتعلمين بشكل خاص، حيث يكتسب كل متعلم على حسب قدراته و وفق سرعته في التعلم ، و بالتالي يتميز و يبدع المتفوق و يتطور و يتحسن و يتعالج المتخلف، مما يضمن عدم الإصابة بالسأم و الملل بالنسبة للموهوبين ، وعدم التعرض للظلم من خلال المنافسة غير المتساوية التي تحدث عند مقارنته بالآخرين ، و هو واقع كثيرا ما التمسناه في المؤسسات التربوية التي تعتمد على الطرق التقليدية في التعليم ، و التي أصبحت عاجزة في معظم الأحيان كما أصبحت غير قادرة عن أن تقدم للمتعلم المعارف و المعلومات و المهارات التي يحتاج إليها لكي يمكّنه التكيف و التميز في عصرنا الحالي،فبسبب الانفجار المعرفي و المعلوماتي و سرعة تدفق البيانات ، فإن مؤسسات التعليم سواء النظامية أو غير النظامية قد أصبحت قاصرة عن أداء مهمتها بشكل ناجح مما يؤدي إلى ضرورة الأخذ بأسلوب التعلم الذاتي بطرقه المختلفة لتحسين جودة هذه المؤسسات في أداء المهام الخاصة بها ، بالإضافة إلى رفع مهارة المعلم من خلال تكوينه في أسلوب التعلم الذاتي كطريقة من طرق التعلم ، و تدريبه على كيفية جعل هذا الأسلوب على أرض الواقع من خلال الابتعاد عن المناهج التقليدية في التعليم و في تقويم المتعلم و كيفية حث الطلاب و تشجيعهم على التعلم الذاتي مع ضرورة التأكيد على أن التعلم الذاتي لا ينفي مهمة المعلّم أو يقلل من شأنه ، ولكنه يجعل وظيفته سهلة ويساعده على متابعة نشاط كل متعلم .

المراجع المعتمدة:

1. حسن شحاتة:تعليم جديد لمجتمع عربي جديد تحديات و رؤى وخيارات ،القاهرة :دار العالم العربي،ط1، 2016 ،ص21.
2. فوزي الشربيني ،عفت الطناوي:الموديلات التعليمية مدخل للتعلم الذاتي في عصر المعلوماتية،القاهرة، مركز الكتاب للنشر، ط1 ،2006 ، ص11.
3. توفيق سامعي: الكفايات المهنية و التعليمية :المفهوم و الأبعاد ، مجلة العلوم الاجتماعية ،العدد19، 2017 ،ص12
4. سهى حسامو و فواز العبدالله : أثر التعلم الذاتي في توظيف مهارات التحاور الالكتروني المتزامن و غير المتزامن لدى طلبة معلم الصف الثانوي ،المجلة الأردنية في العلوم التربوية ،عدد1 ، جامعة اليرموك ،2012، ص17
5. عبد الحميد حسن و عبد الحميد شاهين :إستراتيجيات التدريس المتقدمة وإستراتيجيات التعلم وأنماط التعلم ، مصر ،جامعة الاسكندرية ،2011 ، ص44و45.

نسخة غير قابلة للطباعة

6. بكر سميح المواجدة:استراتيجيات تفريد التعليم والتعلم التعاوني ، الأردن، دار جليس الزمان، ط1، 2010، ص14-15
7. مجدي الحناوي : تطوير الحقائب التعليمية من التقليدية إلى الإلكترونية ، فلسطين،جامعة القدس المفتوحة، 2012 ، ص18-19.
8. حارص عبد الجابر،عبد الله عمار:استراتيجية التعلم النشط، القاهرة،ادارة سوهاج التعليمية ،2006،ص33-34 .
9. أحمد الغربي: التعلم الذاتي المستقل ، القاهرة ،دار الفجر ،ط1 ، الغربي،2007 ، ص18-19
10. لاسكنر:مدخل إلى طرائق التدريس، عدن ، دار جامعة ، 2004 ، ص3
11. مهدي التميمي : مهارات التعليم دراسة في الفكر و الأداء التدريسي،عمان ، كنوز المعرفة،ط1، 2010 ، ص105-106
12. قصي محمد السامرائي ، رائد ادريس الخفاجي:الاتجاهات الحديثة في طرائق التدريس، عمان ، دار دجلة، 2004 ، ط1 ، ص98.
13. صهيبب خليل سهيل : أثر استخدام الحقيبة التعليمية في تحصيل طلاب الصف الأول المتوسط في مادة الإملاء جامعة ديالي، مجلة الفتح ، العدد الخمسون،2012،ص405
14. محمد محمود الحيلة:تكنولوجيا التعليم بين النظرية والتطبيق،عمان، دار المسيرة ،ط5 ،2007،ص401

نسخة غير قابلة للطباعة